

إنه لأمر في غاية الغرابة أن يشعر أي مسيحي بالحاجة إلي التساؤل عما إذا كان الاندماج في المجتمع أمر يهمله أم لا، وأن يثار جدل حول العلاقة بين الكرازة و المسؤولية الاجتماعية. لأنه من الجلي أن يسوع قام أثناء خدمته العامة بأمرين , ((وكان يسوع يطوف .. يعلم .. ويكرز..))

(مت 4:23,9:35) كما ((جال يصنع خيرا ويشفي)) (أع 10:38) . ومن هنا يتضح أن الكرازة و الاهتمام الاجتماعي كانا أمرين متصلين اتصالا وثيقا طوال تاريخ الكنيسة.. وقد عمل المسيحيون في كلا الاتجاهين بصورة طبيعية تماما دون أن يشعروا بالحاجة إلي تحديد ما كانوا يقومون به, أو إلي تحديد دافعهم إلي ذلك.

الاهتمام الاجتماعي في التراث الإنجيلي : لقد كانت هناك — في أوروبا و أمريكا خلال القرن الثامن عشر — بعض الأمثلة الهامة المتعلقة بهذا الموضوع . فالنهضة الإنجيلية التي هزت هاتين القارتين ، لم تقتصر علي الكرازة بالإنجيل وهداية الخطة إلي المسيح فحسب ، بل أنها أيضا إلي انتشار أعمال البر والإحسان أثرت في المجتمع تأثيرا عميقا بلغ مداه البلدان الواقعة علي جانبي المحيط الأطلسي . وكان جون وسلي النموذج الرائد و المؤثر في هذا المجال . إذ كان معروفا في الأوساط الشعبية بأنه المبشر المتجول و الواعظ في الهواء الطلق . وقد كان كذلك فعلا . وكانت كرازته بالإنجيل هي التي أوحت للناس بان يشرعوا في معالجة القضايا الاجتماعية باسم المسيح . بل إن نجاة بريطانيا من ثورة رهيبه دامية كالثورة الفرنسية ، يعزوه المؤرخون إلي تأثير وسلي أكثر من أي عامل آخر .

والتغير الذي طرأ على بريطانيا إبان تلك الحقبة أجاد ج . وسلي بريدي تصويره في كتابه الشهير ((بريطانيا قبل وسلي وبعده)) وهو الكتاب الذي وضع له عنوانا فرعا ((النهضة الإنجيلية والإصلاح الاجتماعي)) . ولقد أدى به بحثه إلي استنتاج أن ((النهضة الإنجيلية)) التي لقيت الكثير من الإهمال ، والتي كانت موضع السخرية في كثير من الأحيان هي الأم الحقيقية التي أنجبت الحافز والقيم الأخلاقية التي خلقت المؤسسات الحرة ودعمتها وذلك في شتى أنحاء العالم الناطق بالإنجليزية ، بل أنها في الواقع تمثل الحد الأخلاقي الفاصل في التاريخ الأنجلوسكسوني .

وقد وصف بريدي الوحشية البالغة التي كانت سائدة إبان القرن الثامن عشر ، والتي تميزت بالتعذيب الغاشم للحيوانات بصورة وحشية أثناء الألعاب الرياضية ، والإقبال الفظيع على شرب الخمر 0 وتجارة الرقيق اللانسانية بزئوج أفريقيا وقيام الناس بخطف أبناء بلدهم لتصديرهم وبيعهم كعبيد، وتفشى عادة القمار ، ووحشية معاملة المساجين ، والفوضى الأخلاقية ، والبيغاء المرتبط

بالمسرح ، وانتشار التمرد والخرافات والفسق والفساد والعجرفة الكنسية ، والادعاءات الجوفاء من قبل فلسفة الأيمان بالله دون عقيدة Deism ، وعدم الإخلاص الذي انتشر بين بعض أبناء الكنيسة والدولة — هذه المظاهر توحى بأن الشعب البريطاني آنذاك ربما كان على نفس القدر من الانحطاط العميق والفسوق ، كأى شعب آخر في العالم المسيحي 0

ثم بدأت الأمور تتبدل 0 فألغيت تجارة الرق في القرن التاسع عشر ، وأصلح نظام السجون ليراعى النواحي الإنسانية ، وأدخلت تحسينات على ظروف العمل في المصانع والمناجم ، وأصبح التعليم متاحا للفقراء ، وبدأ قيام النقابات بصفة شرعية الخ.

فمن أين جاءت هذه الاتجاهات الإنسانية الواضحة ؟ وما الذي ولد الشغف بالعدالة الاجتماعية وإدانة المظالم البشرية ؟ وإذا ما أخذنا في الاعتبار الحقائق التاريخية الثابتة فلن نجد إلا إجابة واحدة لهذا السؤال 0 إن هذا التغيير ولبيد ضمير اجتماعي جديد 0 وإذا قبلنا بأنه كان لهذا الضمير الاجتماعي أكثر من سلف ، فان هذا لا يضير بحقيقة الرعاية والعبادة الفائقين من قبل النهضة الإنجيلية ، التي كانت بحق ، نهضة مسيحية عملية في الحياة اليومية — وهى نهضة يعترف لها بالفضل في إلقاء الضوء على المسلمات الأساسية في علم أخلاقيات العهد الجديد التي جعلت أبوة الله وأخوة البشر أمرا حقيقيا وأشارت إلى أفضلية الشخصية على الملكية ، ووجهت القلب والنفس والعقل نحو توطيد ملكوت البر على الأرض 0

لقد عملت النهضة الإنجيلية على تغيير أخلاقيات الجماهير أكثر مما عملت أية حركة أخرى في التاريخ البريطاني 0 لأن وسلى كان واعظا بالإنجيل وداعية إلى البر الاجتماعي 0 فهو ((الرجل الذي رد للأمة روحها)) 0

وفى الجيل التالي التزم القادة الإنجيليون ، وبنفس الحماسة ، بالكراسة والعمل الاجتماعي ومن أشهرهم جرانبيل شارب ، توماس كلاركسون ، وجيمس ستيفن ، وتشارلز جرانت ، جون شور (اللورد تيناموس) ، توماس بابنجتون ، وهنري ثورنتون ، ووليم فورس الذي كان قائدهم الملهم 0

ونظرا إلى أن عددا كبيرا منهم عاش في كلابهام ، والتي كانت آنذاك قرية تقع جنوبي لندن تبعد عنها ثلاثة أميال ، ولأن جون فين راعى هذه الكنيسة كان واحدا منهم ، فقد عرفوا باسم ((طائفة كلابهام)) ، أما في الصحف والبرلمان ، فكان — من باب السخرية — يطلق عليهم لقب ((القديسين))

كان اهتمامهم بورطة العبيد الأفارقة أول سبب جمع بينهم 0 ففي عام 1791 وقبل وفاته بثلاثة أيام ، كتب وسلى رسالة إلى ولبر فورس ليؤكد له أن الله اختاره ليحقق مشروعه العظيم ، وليحثه على ألا يفشل في عمل الخير 0 وينسب لطائفة كلابهام (بز عامة ولبر فورس) الفضل الأكبر في

إنشاء أول مستوطنة للعبيد المحررين في سيراليون (1787) ، وإلغاء تجارة الرقيق (1807) وتسجيل العبيد في المستعمرات (1820) الأمر الذي أنهى عملية تهريب العبيد وأدى في النهاية إلى تحريرهم (1833)

والواقع أن ((القديسين)) كانوا حقا أرسقراطيين موسرين — أغفلوا رؤية بعض الأمور الأساسية ، لكنهم كانوا أسخياء للغاية في عمل الخير ، وكانت اهتماماتهم الخيرية الرائعة تغطي مجالات كثيرة 0 وبالإضافة إلى مسألة الرق ، فلقد سعوا وبكل جهد لتعديل القوانين بما يتفق والناحية الإنسانية ، وكان لهم جهدهم الرائع في الثقافة الشعبية (مدارس الأحد ، النشرات ، صحيفة المراقب المسيحي)) (Christian Observer)) ، كما أنه يعود إليهم الفضل في التزام بريطانيا نحو مستعمراتها (لاسيما الهند) ، والعمل على نشر الإنجيل (إذ ساعدوا على إنشاء جمعية الكتاب المقدس وجمعية إرسالية الكنيسة) ، كما أنهم كانوا وراء إصدار قوانين العمل بالمصانع 0 وقد شنوا حملة ضد المبارزة والقمار والسكر والفسوق 0 وكان الإيمان الإنجيلي هو الدافع والموجه لهم في كل ما قاموا به من أعمال جليلة 0 كتب عنهم أرنست مارشال هاوز فقال : ((شكل أصدقاء كلابهام فريق تنافس أفراده بشكل متزايد حتى انتهى بهم إلى مودة وتضامن رائعين

لقد كان رينالد كوبلاند محقا عندما قال في سيرة ولبر فرس وفي إشارة إلي جماعة كلابهام :

((إن هذه الإخوة التي تجمعت بين سياسيين مسيحيين تعد ظاهرة فريدة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحياة العامة في بريطانيا .

في عام 1826 م ، انتخب ((انتوني أشلي كوبر)) عضوا في البرلمان ، وكان عمره 25 سنة .

وأصبح عضوا في مجلس اللوردات بعد أن منح لقب لورد شافتسبري ، ووجه اهتمامه إلي الحالة المؤسفة للمجانين ، و الأولاد العاملين في المصانع و المطاحن و المناجم وغيرها ، وكذلك النساء العاملات ، كما وجه اهتماما خاصا بأولاد الأحياء الفقيرة القذرة المزدهمة ، وكان عددهم يصل إلي ثلاثين ألف ، يعيشون في لندن بلا مأوي . بل إن أكثر من مليون منهم — في كل أنحاء بريطانيا — لم يدخلوا مدرسة ما . ومع أن جو رجينا باتيسكومب كتبت سيرة حياة انتوني أشلي هذا وانتقدته بشدة في غالب الأحيان إلا أنها ختمت قصة حياته بهذا التقدير الرائع : ((ما من أحد قبله أستطاع أن يبذل كل هذا الجهد لتخفيف وطأة التعاسة ، أو لزيادة السعادة الإنسانية .

واللورد شافتسبري نفسه يري أنه يمكن القول بأن الإنجيليين كانوا وراء كل المشروعات و الجمعيات العظيمة في ذلك القرن . وهذا هو ما حدث أيضا في الولايات المتحدة في القرن الماضي حيث كان الالتزام الاجتماعي ابنا للأيمان الإنجيلي والأخ التوأم للكراسة . ويتضح هذا في حياة تشارلز فني Charles G. Finney ، الذي أشتهر كمحام ثم تحول إلي كارز و كانت له كتابات و محاضرات في النهضات الدينية (1835 م) . ومن ثمار كرازته بالإنجيل أن اهتدت أعداد ضخمة من الناس إلي الإيمان بالمسيح . إما الأمر الذي لم يعرف عنه بصورة جيدة فهو انه كان مهتما بالإصلاحات الاجتماعية مثلما كان مهتما بالنهضات الروحية . ولقد أوضح لنا دونالدو دايتون في كتابه ((اكتشاف تراث إنجيلي)) أن تشارلز فني كان مقتنعا بقضيتين هما : أن الإنجيل يثير حافزا قويا للإصلاح الاجتماعي ، وأن إهمال الكنيسة للإصلاح الاجتماعي احزن الروح القدس و أعاق النهضة الروحية . ومن المدهش إن ((فني)) ذكر في محاضراته الثالثة والعشرين حول النهضة ما يلي (إن أعظم عمل للكنيسة هو إصلاح العالم ... لقد قصد للكنيسة أساسا أن تكون جسدا من المصلحين)) . إن مجرد الاعتراف بالمسيحية يقتضي ضمنا ، اعترافا بل تعهدا أيضا ، بأن يبذل المرء قصارى جهده من اجل الإصلاح الشامل في العالم .

ولذا لن يدع المرء كثيرا إذا علم إن الله أقام بواسطة كرازة فني جيشا من الشباب المتجددين أصبحوا جنود حركة الإصلاح في عصره . وخاصة القوي المعارضة للرق .. والتي تشكلت في معظمها من الذين تجددوا أثناء نهضات ((فني)) . وكان قد تجدد نتيجة خدمة ((فني)) وعمل مساعدا له فترة من الزمن بيد أن ((ويلد)) لم يكن النظير الأمريكي لـ ((ويلبر فورس)) لأنه لم يكن برلمانيا . والواقع أن النجاح العظيم في إثارة الرأي العام الأمريكي ضد الرق لم يتحقق بفضل المصلحين بقدر ما تحقق نتيجة جهود أشخاص مجهولين عديدين بوزاع ديني بطبيعته ، إنجيلي بروحه . وهؤلاء الأشخاص هم الذي بدأوا النهضة العظيمة عام 1830 م .

كذلك شهد القرن التاسع عشر توسعا ضخما للبعثات المسيحية (الإرساليات) . إلا أن اهتماماتها لم تكن قاصرة علي الكرازة , بل كان لها بعد اجتماعي لم ينحصر في مجال تقديم المعونة و الإغاثة بل تعداه إلي مجالات التنمية بل والنشاط السياسي أيضا . ولو أنه من المشكوك فيه أن تكون هذه الأعمال المتميزة قد تمت بالدقة المطلوبة .

كتب الدكتور ((بيرس بيفر)) عالم الإرساليات الأمريكي : ((إن النشاط الاجتماعي للإرسالية يمكن تتبع تاريخه منذ أيام الرسل ... فلم يكن الاهتمام مقصورا أبدا علي الإغاثة . فكان الكارز المتجول يحمل معه حقيبة أدوية . وبزورا أو نباتات جيدة أو جديدة , ومواشي محسنة , ومعروف أن ((نيفنز)) Nevins هو الذي ادخل فن العناية بالبساتين إلي شانتونج . كما أنه يعود لأعضاء إرسالية بيزل Basel فضل قيام ثورة عظيمة في اقتصاد غانا وذلك بتشجيع العائلات والأفراد علي زرع أشجار الكاكاو والقهوة في حدائقهم .

أما ((جيمس ماك كين)) فقد أحدث انقلابا في حياة أهالي شمالي تايلاند حي أزال من بينهم اللعنات الثلاث الرئيسية التي كانت تنغص حياتهم : الجدري و الملا ريا و البرص . كما أن الإرساليات هتي التي حفرت الآبار و أمنت الماء العذب في كثير من الأحيان . وخلال القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بالتعليم الصناعي . وأنشئت العديد من الصناعات ... , وبالإضافة إلي ذلك كان المرسلون بصورة مستمرة حماة الوطنيين ضد الاستغلال و الظلم من قبل الحكومة المستعمرة و الشركات التجارية ... وكان لهم دورهم الهام في تخليص العمال من ((نظام السخرة)) في الكونغو . كما أنهم قاوموا تجارة الرقيق في جنوبي المحيط العادي وناضلوا بشدة من أجل حقوق الإنسان في الصين . وكافحوا ضد تجارة الأفيون , وضد عادة تقبيد أقدام البنات لمنع نموها , بل و التخلي عن المواليد الإناث بتركهن في العراء . ثم إنهم شنوا حربا في الهند ضد عادة إحراق الأرامل وقتل الأطفال وبغاء الهيكل . ومن أبرز إنجازاتهم تحطيم النظام الطبقي الذي كان يحكم علي المساكين و المنبوذين بالعبودية الاجتماعية و الاقتصادية .